١٦٦٢٩

مجله	الرابطة العالم الاسلامي
تاريخ نشر	
شماره	
شماره مسلسل	
محل نشر	مكة
زبان	عربي
نويسنده	محمد محمد ابو شبهة
تعداد صفحات	٩ - ١٢
موضوع سرفصلها	ثبوت نص القرآن الكريم بهذا الترتيب للآيات في سورها ثابت بالتواتر
كيفيت	
ملاحظات	

ثبوت النص القرآني
بالتواتر المفيد للعلم واليقين

الاستاذ بجامعة ام درمان الاسلامية

قرأت في مجلة « رابطة العالم الاسلامي ما تردد من انباء تفيد اعتزام جماعة مارقة اعادة طبع القرآن بطريقة غير الطريقة التي كتب بها المصاحف العثمانية ، وترتيب غير الترتيب الذي جاء في هذه المصاحف ولعل هذه الفئة تريد ترتيب القرآن في المصاحف على حسب نزوله واني أذكر أن هذه الفكرة الخبيثة دعا اليها بعض المتعلمين من قبل وكان طبيعيا ان توادفي مهدها وأعداء الاسلام يتفننون كل يوم في محاربة هذا الدين : وطرق هذه المحاربة ومن المؤسف أن الاعيبهم ودسائسهم تجوز على الاغرار من المسلمين .

لذلك رأيت ان اكتب بحثا مستفيضاً في بيان أن نص القرآن الكريم بهذا الترتيب للآيات في سورها ثابت بالتواتر عن الجم الغفير المفيد للعلم أجمع عليه المسلمون قاطبة ولم أعلم أحداً شذ عن هذا الإجماع ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤه على هذا الترتيب المعهود كما تلقاه عن جبريل الأمين رب العزة جل وعلا ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم تلقاه بهذا الترتيب الألوف من الصحابة ، وعن الصحابة تلقاه بهذا الترتيب ألوف الالوف من التابعين حتى وصل الينا كما أنزله الله سبحانه من غير تقديم ولا ولا تأخير ولا زيادة ولا نقصان وصدق الله :

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

وقد تواردت على ذلك النصوص الكثيرة والاجماع أما النصوص فقد ترادفت على ان ترتيب الآيات على هذا الوضع الذي نقرؤه اليوم توقيفي لا مجال للرأي ولا للإجتهاد فيه ، فمن النصوص ما رواه الإمام أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال : « كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شخص ببصره إلى السماء ، ثم صوبه ، ثم قال : أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة

« إن الله يأمر بالعدل والاحسان ، وإيتاءى ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون »(١) ومنها ما رواه مسلم في صحيحه عن عمر قال : « ما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعه في صدري

(١) النحل الاية ٩٠

وقال : أما تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء » ومنها الحديث الذى رواه الشيخان وغيرهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قرأ الآيتين من خواتيم سورة البقرة في ليلة كفتاه » وهما

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون » ... إلى آخر السورة .. ومنها ما روى ان آخر ما نزل من القرآن قوله سبحانه :

«واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله..» البقرة الآية «٢٨٠»

وان جبريل لما نزل بها قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ضعها على رأس المائتين والثمانين من سورة البقرة إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار الدالة على ذلك تفصيلا .

ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالا ما ثبت من قراءته صلى الله عليه وسلم لسور عديدة كسورة البقرة وآل عمران ، والنساء في حديث حذيفة ، والاعراف ففى صحيح البخارى أنه قرأها في المغرب « قد افلح » روى النسائى انه قرأها في الصبح حتى إذا جاء ذكر موسى وهرون ، أخذته سعلة فركع ، و« ألم تنزيل » و« هل أتى على الإنسان » روى الشيخان — البخارى ومسلم — أنه كان يقرؤها في صبح الجمعة ، و« ق » ففى صحيح مسلم أنه كان يقرؤها في الخطبة « الرحمن » ففى المستدرك للحاكم أنه قرأها على الجن و« النجم » ففى صحيح البخارى أنه قرأها بمكة على الكفار ، وسجد في آخرها — إلى غير ذلك من السور التى كان صلى الله عليه وسلم يقرؤها على حسب ترتيبها في المصاحف العثمانية وعلى مشهد من الصحابة مما يدل على ان ترتيبها توقيفى لا مجال للرأى فيه ، وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيباً سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ على خلافه وبذلك بلغ هذا الترتيب مبلغ التواتر المفيد للقطع واليقين ..

وأما الإجماع على أن ترتيب الآيات في سورها توقيفى فقد حكاه غير واحد من العلماء منهم : الزركشى في كتابه « البرهان في علوم القرآن » وأبو جعفر بن الزبير في « مناسباته » ونص عبارته « ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في ذلك بين المسلمين وإليك مقالة الامام أبى بكر الباقلاني في كتابه « الانتصار » ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا ، وقال أيضاً : الذى نذهب إليه أن جميع القرآن الذى أنزله الله ، وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله ، هو هذا الذى بين الدفتين الذى حواه مصحف عثمان ، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه ، وأن نظمه ، وترتيبه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتبه عليه رسوله من آى السور لم يقدم من ذلك مؤخر ، ولا أخر منه مقدم وأن الامة ضبطت عن النبى صلى الله عليه وسلم ترتيب آى كل سورة ومواضعها وعرفت مواقفها كما ضبطت عنه نفس القراءات ، وذات التلاوة ، وأنه يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رتب سوره ، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده ولم يتول ذلك بنفسه قال وهذا الثاني أقرب »[1] .

وروى ابن وهب قال : سمعت مالكا يقول : « أنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم » وقال الامام البغوى في شرح السنة « الصحابة رضى الله عنهم جمعوا بين الدفتين

(1) كلامه الاخير في ترتيب السور بعضها الى بعض قيل بالتوقيف ، وقيل بالاجتهاد ، وقد رجح الثاني وعسى ان تكون لي عودة لترتيب السور .

القرآن الذى انزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا ، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ، ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية إن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا ، فثبت ان سعى الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا ، ثم كان ينزله مفرقا عند الحاجة ، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة »[2] وقال ابن الحصار : ترتيب السور ووضع الآيات في مواضعها إنما كان بالوحى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا ، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب ، من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف ..

ومما ينبغى ان يعلمه كل مسلم فضلا عن طالب ومتحف أن ترتيب آيات القرآن ليس على حسب النزول وانما هو على حسب التناسب والتناسق بينها ووجوه الاعجاز والبلاغة وقد تكون الآية قبل الآية في الترتيب ولكن بينهما بضع سنين في النزول ، وقد تكون الآية متقدمة عن الأخرى في الترتيب ولكنها متأخرة عنها في النزول ، فقال الأول قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا .... » الآيات (٣) فقد روى أنها نزلت في شأن كعب بن الاشرف ومن معه من علماء اليهود الذين قدموا على المشركين بعد بدر يحرضونهم على الأخذ بالثأر ومحاربة النبى وروى ابن اسحاق أنها نزلت في شأن حيى بن أخطب ومن معه من احبار اليهود الذين ذهبوا إلى قريش قبل الأحزاب ليؤلبوا المشركين والقبائل على النبى صلى الله عليه وسلم ، مع أن الآية التى بعدها وهى قوله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » «٤» قد صح انها نزلت يوم الفتح وبين الآيات الاولى وهذه الآية نحو بضع سنين ، ولكن المناسبة البلاغية جمعت بينها في سمط واحد فقد أخذ الله على اليهود العهود والمواثيق أن لا يكتموا صفة النبى وأن يؤمنوا به ، فكان قولهم هذا للمشركين خيانة للأمانة التى ائتمنوا عليها ، ونقضاً للعهود التى أخذت عليهم ، وقد وبخهم الله على صنيعهم هذا فناسب بعد هذا أن يدعو الله الناس إلى تأدية الامانات العامة بعد ذكر تفريطهم وخيانتهم للأمانة الخاصة فقال سبحانه : « ان الله يأمركم .. » الآية .. والمناسبات بين الآى من أدق وجوه الاعجاز وألطفها ..

ومثال الثاني قوله سبحانه في سورة البقرة

« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج .. »(٥)

فقد نسختها الآية الأخرى وهى قوله تعالى :

« والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ... » الآية «٦»

وقد يستشكل هذا بعض ما لا يعلم الحقيقة ويعجب كيف ينسخ المتقدم المتأخر ؟ ولكن إذا علم أن ترتيب الآيات ليس على حسب النزول ، وأن

(2) الاتقان في علوم القرآن ج ١ ص٦١ ٦٢ (3) النساء الاية (٥١) (4) النساء الاية (٥٨)
(5) البقرة الاية (٢٤٠) (6) البقرة الاية (٢٣٤)

الآية الأولى متقدمة ترتيباً لكنها متأخرة نزولا ـ زال الاستشكال ، وذهب العجب .

روى البخـاري في صحيحـه عن عبدالله بن الزبير قال : قلت لعثمان

« والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً وصية لازواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج »

قد نسختها الآية الأخرى ـ السابقة ـ فلم تكتبها أو تدعها ؟ (٧) فقال :

« يا ابن أختي لا أغير شيئاً منه من مكانه .. وكأن ابن الزبير فهم أن ما ينسخ حكمه يزال لفظه حتى بين له عثمان أن هذا أمر توقيفي عن النبي ولا مجال للرأي فيه ، وأنه لايجوز تغيير شيء ما من القرآن الكريم عما كان عليه في عهد النبي .

وترتيب القرآن على حسب النزول أمر لا يستطيعه البشر ولا غيرهم ولا يقدرون عليه وهو يذهب بوجوه من الاعجاز وقد ذكر السيوطي في الاتقان عن محمد بن سيرين العالم التابعي الجليل أنه سأل عكرمة مولى ابن عباس عن تأليف القرآن فقال له « القوه كما أنزل الأول فالأول ؟! فقال : لو اجتمعت الانس والجن على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا » وصدق التابعي الجليل عكرمة فهذا ما لا يتأتى لأحد ولا يجوز أن يفكر فيه عاقل هذا وسأتابع البحث في هذا ، حتى تكون الأمة الاسلامية على بينة من حقيقة كتابها ، وتقف للساعين في الفساد بالمرصاد .

(٧) شك من الراوي اي العبارتين قالها من رواه عنه اي لم تكتبها او تدعها مكتوبة وهذا من امانة المحدثين في الرواية .

استدراك

وقع كسر في بعض النسخ اثناء عملية الطبع في حرف من الآية الكريمة الواقعة في ص (٥٧) والذي نصها ـ ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لو لا أن من الله علينا ـ .. الآية فانكسر لام كلمة «لولا» فاصبحت « ولا » ولذا لزم التنبيه .